مشارف المنطق

تأليف :

د. سري نسيبه

ـ مقدمـــــــــة ـ

نشـر حديثا للدكتور عادل فاخوري كتاب اسمه "منطق العرب من وجهة نظـر المنطق الحديث" (دار الطليعة ـ بيروت ـ ١٩٨٠) ، وقد يكون هذا الكتاب من أفضل ما كتب عن المنطق العربي في هذا القرن . والجميل في هذا الكتاب أنه يجمع ما بين ما كتب في العصر الاسلامي عن المنطق وما تم تطويره في العصر الحديث فهو بذلك يتعامل مع المنطق من وجهة نظر المنطق المعاصر ، كما ويتعامل من جهـة أخرى مع المنطق المعاصر آخذا بعين الاعتبار الخلفية التاريخية للمنطق في البلدان العربيـــة.

الا ان هذا الكتاب ، وكغيره مما كتب في اللغة العربية ، لا يأخذ بعين الاعتبار وللاسف الشديد الحاجة الماسة لكتاب أو لمجموعة كتب في المنطق يمكن استعمالهـا لتدريس هذا العلم أو هذه الاداة العلمية في الجامعات او المعاهد او المدارس الثانوية ، وبالاخص لطلبة هذا العصر وفي ظل الاجواء الفكرية السائدة في الشـرق الاوسـط.

فتنقصه الامثلة والتمارين ولا يتدرج في الموضوعات حسب خطة منهجية متسلسلة في التعقيد هدفها ايصال المعلومات للطلبة ومناقشتها معهم. كما ولا يأخذ بعين الاعتبار أيضا ما درج القارئ المطلع على فهمه حين استعماله او استماعه لكلمـة "المنطق" في لغتنا الحديثة او مراد فاتها ، وغيرها من الامور التي تستوحذ على اهتمام قارئنا العربي بما في ذلك اهتمامه بما يسمى بالمنهج المنطقي او العقلانيـة او الموضوعية أو المنهج العلمي .. الخ ، بل على العكس من ذلك كله ، فان الكتـاب يفترض معرفة مسبقة بالمنطق ويتوخى عرض مادة منطقية غزيرة وتسجيلها للاستعمال من قبل الملمين في هذا العلم ، وهو ينجح في هدفه هذا نجاحا مرموقـا.

ونحن نجد كثيرا من كتب المنطق المكتوبة باللغة العربية ، وحتى المترجمـة منها ، تفتقر الى هذه النواحي التعليمية والعملية ، ابتداء منها بالكتاب القيـم للمنطقي البولندى لوكاشيفيتش ، والذى ترجمه وقدم له الاستاذ عبد الحميد صـبره (نظرية القياس الارسطية من وجهة نظر المنطق الصورى الحديث ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦١). فاننا نجد هذا الكتاب مفيدا للمؤهل ابتداء بعلـم المنطـق ،

بل ونجد المقدمة التي وضعها الاستاذ صبره قيمة أيضا من حيث تعرضها خاصة الى اللبس الذى وقع عند المثقفين المصريين في الخمسينات بخصوص العلاقة بين الفلسفة الوضعية التي راجت في فيينا (وامتدت آثارها فيما بعد لبريطانيا عبر الفيلسوف آ٠ج٠آير وللولايات المتحدة عبر عدة فلاسفة منهم كارناب) والتي تحمس لها بعض الفلاسفة المصريين آنذاك ، وبين المنطق الصورى ، أى الرياضي ، كما نجد هذا اللبس مثلا عند الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه (المنطق الوضعي ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥١ ، الطبعة الثانية ٠ القاهرة أيضا ، ١٩٥٦)٠

فان مقدمة عبد الحميد صبره مفيدة للذى يتابع تاريخ المنطق في العالم العربي المعاصر ، كما وأن كتاب لوكاشيفيتش نفسه مفيد أيضا للذى يتابع الفوارق المختلفة عند المناطقة المعاصرين وخاصة تلك الفوارق الموجودة في مصطلحاتهم وفي الرموز التي يستعملونها٠

الا أن هذا الكتاب ، مثله مثل الكتب الاخرى ، لا يفيد المبتدئ ، كما انه لا يستطيع المدرس استعماله بسهولة في مساق تمهيدى لعلم المنطق (كما وأنه لم يكتب أصلا لهذه الغاية)٠

وهنالك بالطبع كتب أخرى في المنطق ، منها ما هو مترجم ، ومنها ما وضع أصلا باللغة العربية ، فنذكر مثلا ترجمة بقلم الدكتور عبد الفتاح الديدى لكتاب أ٠ج٠ بيسون و د ٠ ج٠ أوكونر (مقدمة في المنطق الرمزى ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧١)٠ وأخرى للدكتور فؤاد زكريا لبول ميوى (المنطق وفلسفة العلوم ، جزئين ، دار النهضة ، مصر ، ١٩٦١) وترجمة للدكتور زكي نجيب محمود للكاتب جون ديوى (المنطق ونظرية البحث٠ دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠) ٠ وقد يكون من أكثر ما ترجم فائدة وخاصة من الناحية التاريخية كتاب كتبه روبير بلانشي وترجمه الدكتور خليل أحمد خليل (المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل / ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٠)٠

ثم اننا نجد أيضا أصولا في العربية ، ومنها نذكر كتاب علي سامي النشار (المنطق الصورى منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧١) ، وكتاب عبد الرحمن بدوى (المنطق الصورى والرياضي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، طبعة رابعة ، ١٩٧٧)٠ وكتاب محمود قاسم (المنطق الحديث ومناهج البحث ٠ الانجلو ـ مصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٣) ٠ وكتاب

الاستاذين محمد علي أبو ريان وعلي عبد المعطي محمد (أسس المنطق الصورى ومشكلاته ، دار الجامعات المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥) ، وغيرهـا٠

ومن هذه الكتب ما يتعرض للمنهجية العلمية ، ومنها ما يتعرض لتاريخ المنطق الرمزى ٠ الا أنها جميعها ، باعتقادى ، لا تفي بالغرض الذى وضحته ، وهو وضع كتاب يمكن استعماله في التدريس ، وهي لا تفي بالغرض جزئيا لافتقارها للتمارين والامثلة ، وجزئيا بسبب المادة المعروضة فيها ،وآخذ مثالا على ذلك الكتاب المذكور أخيرا (أسس المنطق الصورى ومشكلاته) والذى وبالرغم من حداثة نشره واسمه فاننا لا نراه يعالج ما هو أبعد من المنطق التقليدى ، ويتجاهل تماما كل ما طرأ على المنطق حديثا من تطورات نوعيـة٠

وعلى الجانب الاخر فاننا نجد بعض هذه الكتب (المنطق الصورى والرياضي لعبد الرحمن بدوى) تنتقل بسرعة فائقة من الاسس الى المنطق الرياضي ، بدون أن تراعي امكانية القارئ لاستيعاب المادة تدريجيا واستفادته منها ، بل قد يستفيد منها من هو أصلا قادر عليها ومتمكن منهـا٠

اذن فان العالم العربي عامة وجامعاتنا الفلسطينية خاصة لهي في أمس الحاجة لسلسلة من الكتب التي تتدرج ببطء من البديهي والاولي الى ما هو أعقد منه عبر مجموعة من المفاهيم والامثلة التوضيحية والتمارين التي يمكن من خلالها أن يتفاعل القارئ مع المادة ويتطور في تمكنـه منها٠

وانني أضع الطبعة الاولى من هذا الكتاب مستهدفا خدمة القارئ والطالب في هذا المجال وآمل أن أجرى التحسينات عليه والاضافات له عبر التجربة والممارسة ، كما وآمل ، بأن أستطيع استكمال مشروعي في وضع كتابين متممين له ، الاول في مسالك المنطق ، والثاني في مشاكله ، بعد أن أكون قد تأكدت من صلاحية هذا الكتاب ، الذى أعتبره الجزء الاول من هذه المجموعة الثلاثية٠

ولقـد كنت قد أنهيت الجزء الاكبر من كتابة المادة في هذا الكتاب قبل بضع سنوات ، الا أن مجموعة عوامل موضوعية وذاتية حالت دون نشرى له قبل هذا الوقت لكنني آمل أن أكون قد استطعت خلال هذه الفترة تحسين هذه المادة عبر تدريسي لها في جامعتي بير زيت والنجاح ، كما أنني أتأمل بأن أستطيع متابعة تحسيني لهذه المادة عبر النقد والممارسـة٠

ولقد توخيت في عرضي لمادة هذا الكتاب أن "أعرب" ما أمكن ، مستنيرا

بمعرفتي في المنطق العربي التقليدى ، باصطلاحاته ورموزه واهتماماته ، ومستفيدا من واقعنا الفلسطيني والعربي للاتيان بالامثلة والتمارين ، آملا بأن تصبح المادة حية من خلالها ، كما وحاولت أيضا أن "أعرب" من الرموز بطريقة لم تستعمل من قبل ، وخاصة للتدليل على علاقة الاستثناء أو الترجيح ، وأيضا على الاحرف التي تستعمل بالانجليزية للاشارة الى الاوصاف أو المحمولات ، وتسمى "أحرف المحمولات" ، وسوف أبين استعمالاتي وفوائدها في حينه.

أما بالنسبة لخطة عرض هذه المادة ، فانني ابتدأت أولا (الفصل الاول) ببعض الملحوظات والافكار العامة جدا ، والتي أتوخى من خلال طرحها ومناقشتها مع الطلبة أن أربط ما بين مجموعة المفاهيم السائدة عن المنطق والمنهج العلمي .. الخ عند القارئ المعاصر المطلع وبين المنطق كعلم محدد له تاريخه وأطره.

وأبدأ بالتخصيص والتحديد في الفصل الثاني ، محاولا ترجمة الافكار العامة عن المنطق والملاحظات التي سبق وأن تعرضت لها الى أسس محددة في علم المنطق أما الفصل الثالث ، فهو يمهد الطريق لاستعمال المنطق كأداة تقييمية ، فيميز بين العلاقات الاستقرائية والاستنتاجية ، ويعرض الوسائل الرسمية الرمزية وغير الرسمية لتقييم العلاقات الاستنتاجية ، ثم انتقل في الفصل الرابع لتطبيق استعمال المنطق كأداة تقييمية ، فأعرض الوسيلة غير الرسمية لتقييم الحجج ولفرز المغالطات المنطقية.

أما في الفصل الخامس فانني أنتقل لمعالجة المنهج الرسمي لتقييم الحجج ، وأتدرج من معالجة منطق الاقوال الجازمة (أو ما يسميه البعض بحساب القضايا) الى أن أنتهي بالفصل الاخير من الكتاب لمعالجة منطق الاسوار (أو ما يسميه البعض بحساب المحمولات).

أخيرا ، فانني أتقدم بخالص شكرى للزميلتين سميرة الدجاني وفايزة المالكي في جامعة بير زيت ، اللتان بذلتا جهدا موفورا ومشكورا قبل بضعة أعوام في طباعة النسخة الاولى من مخطوطة هذا الكتاب . كما وأتقدم بالشكر الى الزميلتين مديحة قواسمي وسهام أبو صوى في جمعية الدراسات العربية لتحملهما مشاق طباعة المسودة الاخيرة من هذا الكتاب.

ولا أنسى كذلك الملاحظات المفيدة التي أبداها الزميل جورج جقمان قراءته للمسودة الاولى من الكتاب

والله من وراء القصد

القدس / تشرين أول ١٩٨٤

الفصل الاول

ملاحظات تمهيدية حول المنهج العقلاني

ملاحظات تمهيدية حول المنهـــج العقلانـــي

١ ، ١ الحلقـــة المفقـــودة :

ما هو تقييمنا العامي للمنهج المنطقي في التفكير ؟ فاننا كثيرا ما نسمع او نستعمل تعابير مثل " ليس عمله هذا منطقيا " أو " علينا ان نكون منطقيين " ...الخ وان دل استعمال هذه التعابير على شيء ، فانه يدل على الاقل على رسوخ الاعتقـــاد عندنا بأن الاعمال والاقوال المنطقية هي أفضل من الاعمال والاقوال غير المنطقية ، الا أن اعتقادنا هذا ليس ممحصا مدروسا من قبلنا اذ اننا لا نميز كثيرا باستعمالاتنا اللغوية هذه مثلا بين كلمتي " منطقي " و " عقلاني " أو " عقلي " ، بل اننا كثيرا ما نستعمل كلمة " عقلاني " كمرادف لكلمة " منطقي " ، حتى تكاد استعمالاتنا اللغوية هذه تدل على أن القول أو العمل المنطقي هو نفسه القول أو العمل العقلاني . ثم يبدو مـــن استعمالاتنا ايضا أننا نفضل العقلانية على نقيضها ، ونعتبر القول أو العمل غير العاقل قولا أو عملا عاطفيا ، أو غير موضوعي ، أو غير ناضج ، أو حتى جنونيا . فالقـــول العاقل ، مثلا ، هو قول يخلو من الشوائب الفكرية كما أنه يكاد يكون خاليا مـــن التأثيرات العاطفية ، وذلك حسب مفاهيمنا واستعمالاتنا ، ثم نقول عن الانسان العاقل أنه الانسان الذى يقول قولا عاقلا والذى يتصرف بتعقل ، أى أنه الانسان الذى لا يدع أهوائه تسيره حسب مشيئتها ، بل انه يتحكم بعواطفه ويحكم عقله بتصرفاتـــه .

فها نحن اذن نفضل العقل والمنطق على نقائضهما ، وان لم نميز كثيرا بينهما أصلا . الا أنه فضلا عن عدم تمييزنا الواضح ما بين العقلاني والمنطقي ، فاننا كثـــيرا ما نخطو خطوة أخرى فنستعمل كلمة " موضوعي " بنفس المواضع التي نستعمل بها كلمـــة " عاقل " أو " عقلاني " ، فنقول عن انســان ما مثلا أنه انسان موضوعي ، أو عـــن اطروحة ما أنها موضوعية أو عن قول ما أنه موضوعي ، ونعني أهم ما نعنيه في هـــذه المواضع ان الانسان الموضوعي مثلا هو الذى يحاول ان يعكس الواقع بأمانة في اقواله ، أى أنه الانسان الذى لا يدع آراءه الشخصية ونزعاته الخاصة به أن تؤثر على احكامه ، فالانسان الموضوعي بهذا المعني هو الانسان الذى يحاول دائما أن يحكم عقله على عاطفته ، والذى يحاول أن يلتزم بالحقائق والوقائـــــع .

ويبدو أن احترامنا للمنطق وللاسلوب المنطقي يمتد حتى يصبح احتراما للموضوعية ، ذلك بالرغم من أننا لا نمحّص الفروق ان وجدت ما بين الموضوعي والمنطقي ، أو ما بين الموضوعي والعقلاني . ولو فكرنا قليلا لوجدنا أن هذا الاحترام الاولي يشمل أيضا أشياء أخرى ، اذ أننا أيضا نتكلم عن الاقوال الواقعية على سبيل المثال ، على أنها أقوال موضوعية ، ونتكلم أيضا عن الاطروحة العلمية ، على أنها أطروحة منطقية وعقلانية وموضوعية وواقعية ، فاننا ننظر للاطروحة العلمية بنفس المنظار الذى ننظر به للانسان العاقل أو للقول المنطقي أو للاطروحة الموضوعية ، فان كنا نفضل الاسلوب المنطقي على الاسلوب غير المنطقي ، فاننا أيضا نفضل العقلانية على العاطفة ، والاسلوب العلمي على المنهج العشوائي والموضوعية على التلفيق أيه كانت أنواعه .

وقد يستدل المرء من كل ما سبق على أنه توجد في مجتمعنا الحالي حلقة معينة من الكلمات المترابطة مع بعضها البعض ترابطا وثيقا تدل جميعها على مسالك منهجية نستحسنها ونفضلها على نقائضها ، بل قد يستدل المرء أيضا على أن هذه الحلقة من الكلمات هي حلقة مفقودة ، أى أن المسالك المنهجية التي تدل عليها هي مسالك مفقودة في مجتمعنا العربي عامة . وليس هذا بغريب ، اذ أن تاريخ أمتنا العربية الحديث لهو حافل بالامثلة التي تدل على مساوئ وسلبيات المسلكية العشوائية الناتجة عن العاطفة ، ونحن حين ننظر الى ماآلت اليه تصرفاتنا ، والى ما آلت اليه حضارتنا ، فلا شك بأن الكثيرين منا يرون في ذلك دليلا قاطعا على صحة الاعتقاد بأن طريق الخلاص لامتنا ولشعبنا ليست هي طريق الاحلام والعاطفة والتأملات الشاعرية ، بل ليست هي حتى طريق المبادئ الاخلاقية الصحراوية كالعفة أو الشهامة أو الكرامة ، بل هي طريق الكد والعمل الواقعي على أرضية شائكة دامية ، لا مكان فيها لخرق قوانين الجاذبية ولا مجال فيها للانتظار لما قد تسفر عنه الابتهالات والدعوات.

ثم ان المرء منا قد يلاحظ أن انجذاب مثقفينا للمنهجية العلمية والموضوعية والعقلانية ليس مقتصرا على اليساريين منهم فحسب ، اذ أننا نجد أن امراء البترول ليسوا أقل ابتهارا بالمنهجية العلمية من قادة الاحزاب الشيوعية ، بل ان الانظمة اليمينية على امتداد العالم العربي تحاول جهدها ان تسخر المنهجية العلمية لمصالحها ومصالح شعوبها كما تحدد هي تلك المصالح . ونسعى جميعا جاهدين

لتطبيق المنهجية العلمية لانها كما نعتقد مفتاح التقدم والازدهار. فاننا ننظر للدول الغربية والى جبروتها الفني والعسكرى ونفسر تخلفنا عنها وعن المركب الحضارى عامة بفقدان عوامل أساسية عندنا ، كالتفكير المنطقي الواضح والتخطيط الواقعي والتصرف الموضوعي.

ولست هنا في مجال دراسة اجتماعية أو نفسية او اقتصادية ، بل أنني لا أعرف من الناحية الاحصائية ان كان صحيحا القول بأن هنالك انجذابا عند مثقفينا وقادتنا لتلك الحلقة المفقودة ، ولكن على افتراض صحة هذا القول ، فانه من المفيد تمحص تلك العوامل التي تجذبنا وتبهرنا ، بل انه لمن المفيد أن نتمحص التناقض الاساسي بين العقل والعاطفة ، اذ أن العقل يربض على قمة تلك الحلقة المفقودة ، بينما يترأس القلب أو العاطفة تلك العوامل التي هي نقائض المنطقية والعلمية والموضوعية والواقعية ، كما نحسب ذلك . ونحن حين نشعر بانجذاب نحو العقل والعاطفة ، فاننا نشعر وبالوقت ذاته أن ذلك الانجذاب هو بمثابة نفور من القلب والعاطفة ، وقد يكون هذا هو السبب من وراء التشكيك بالمنهج العقلاني وبتقديس العقل من قبل فئات غير قليلة من رجال الدين : فالقلب والعاطفة هما منبع ومرجع الايمان ، اذ أن الايمان هو اذعان العقل لعالم الغيب ، فطوبي للذين يؤمنون وهم لا يرون ، والمسلم أيضا هو من آمن بالغيب ، ومحك الايمان هو الاذعان لامور لا يفقهها العقل ، كالمعجزات ، بل قد يقال أن ابليس هو أول من رسب في امتحان الايمان ، اذ انه لم يذعن عقله لامر الله ، بل جعل عقله هو الذى يملي عليه تصرفاته ، وليس الاذعان لامور لا يفقهها ، كأن يسجد أمام مخلوق هو أدنى منه في مرتبة الوجود.

وكما اختلف ابليس مع بقية الملائكة ، كذلك اختلف رجال الفلسفة مع رجال الدين ، فنرى فلاسفة العصر الاسلامي أمثال الفارابي يثقون بالمنهجية العقلانية أكثر من ثقتهم بالايحاء النبوى ، ولست أبتكر أو اختلق هنا شيئا جديدا حينما أشير الى وجود ثمة علاقة منهجية بين ابليس والعقلانيين ، فالقارئ مثلا لكتاب الملل والنحل للشهرستاني يجد أن الكاتب هناك يشير في مستهل كلامه لوجود ثمة علاقة أيضا بين ابليس والفرق الاسلامية العقلانية "المنشقة" بل أن آراء الغزالي التي وردت في كتابه المنقذ من الضلال لهي أوضح دليل على تناقض المنهجين ، العقلي أو العلمي من جهة والاسلام أو الاذعان لوحي الله من جهة أخرى.

لكن عدم الوضوح الذى كان موجودا بشأن العلاقات بين المنطقي والعقلاني والموضوعي والعلمي هو موجود أيضا بشأن التناقض المزعوم بين العقل والايمان ، أو بين العقل والعاطفة ، ولا بد للمرء منا أن يوضح لنفسه هذه الامور لكي يستطيع تقييم المنطق والمنهج المنطقي . بل لا بد للمرء منا أن يوضح هذه الامور لنفسه كي لا يجد نفسه متعصبا لهذا الرأى أو المنهج أو ذاك ، ولكي لا يجد نفسه معلقا في الهواء ، تجذبه تيارات العقلانية تارة ، وتارة تيارات الاذعان للمبهم .

١ ، ٢ الموضوعية والذاتية :

قد تكون أكثر التمييزات الفلسفية تداولا على ألسن المثقفين وخاصة المبتدئين منهم هو التمييز بين الموضوعية والذاتية ، حيث تكون الفلسفات الموضوعية باعتبارهم هي الفلسفات السليمة على أساس ارتباطها بالواقع المادى وتبيينها له على عكس الفلسفات الذاتية التي هي مجموعة أفكار فردية تأملية لا علاقة موضوعية لها بأرضية الواقع .

الا أن التمييز بين الموضوعي والذاتي ، كالتمييز بين ما يمليه العقل وما تمليه النزعات العاطفية الفردية ، ليس هو بالواقع تمييزا واضحا كل الوضوح ، والفرق ، بالتالي ، بين الوجود الموضوعي والوجود الذاتي ليس هو واضحا أيضا .

فلنتمحص مثلا أى منتوج فكرى كان ولنسأل أنفسنا ، بما يتعلق بهذا المنتوج ، ان كان هذا المنتوج عقليا أو عاطفيا . ولقد يتبادر للذهن ها هنا أننا لا نستطيع البت في هذا السؤال طالما أننا لم نكن نفكر بمنتوج معيّن أمامنا حتى نستطيع تقييمه . او قد يتبادر للذهن أيضا أننا بحاجة أولا لان نعرف ما نعنيه بالمنتوج العقلاني أو المنتوج العاطفي .

وكمدخل ممكن لتفحص هذا الامر ، فانه يمكننا التكلم عن العامل أو الحافز أو المنبع الذى ينتج هذا المنتوج عنه ، والبحث فيما اذا كان هذا العامل هو العقل أو العاطفة .

الا أننا ما نلبث أن نفعل ذلك حتى نبدأ أن نرى بأنه ان اعتبرنا ذلك العامل أو الحافز كالمرجع للتمييز بين المنتوج الفكرى العقلاني والعاطفي فاننا لن نجد تمييزا بتاتا بينهما ، اذ أن المرجع النهائي في الحالتين هو نزعة شوقية أى عاطفية ذاتية وليس العقل بحد ذاته .

وبمعنى آخر ، فان العقل لا يحث الانسان على القيام بعمل ما ولا حتى على التفكير بشيء ما ، بل ان النزعة الشوقية هي التي تحث الانسان منا على التفكير بعقله أو على التفكير أو التصرف العاطفي .

فعالم الرياضيات مثلا الذى يبتدع أو يكتشف نظرية ما هو انسان تحثه نزعاته الشوقية للرياضيات على التفكير فيكون منتوجه الفكرى اذن هو منتوج نابع عن منبع أو أصل عاطفي . وكذلك فان المرء منا لا يقوم بعمل اختيارى ما الا وان حثته على ذلك